بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية:

الحمد لله الذي علم الانسان ما لم يعلم، وهداه إلي الحق وفضله بالعقل علي سائر المخلوقات ، ومن ثم حمله الأمانه التي ناءت السماء والأرض والجبال عن حملها.

من أجل ذلك كانت مسئولية الانسان صاحب الكلمة المدونة مسئولية خطيره، تضع علي كاهل صاحبها واجبات كبيرة تتعاظم عندما تروي هذه الكلمة تاريخ البشرية، وتسجل تاريخ الانسان الذي بني الحضارات وأسس الدول، وأقام المجتمعات المنظمة.

وعندما اختلط الناس، وتعقدت العلاقات الانسانية، وتعارضت المصالح، كانت الحروب والصراعات التي حسمت بانتصار الحق والقوة.

لقد سجل الانسان منذ أن عرف الكتابة انجازاته العلمية والفنية والقانونية والطبية وغيرها، ومن هنا كانت مسئولية المؤرخ الذي عليه أن يدرس وأن يناقش ويحلل التجارب السابقة مستخلصا منها من القيم والسبل والوسائل ما يعين علي استشراف المستقبل من أجل حياة اكثر أمانا ورخاء واستقرارا.

ومن هنا تتعقد مسئولية المؤرخ الذي قد يطلق ليراعه العنان فيسرد الأحداث سردا، أو يصدر الأحكام جزافا، أو ينحاز الي جانب أو موضوع أو مبدأ أو قضيه، مما قد يوقعه في أخطاء جسيمه، فقد يأتي السرد مبتورا أو مشوها، وقد تاتي الأحكام ظالمة أو غير مقننة أو تحتاج إلي أدله وإثبات مما قد يؤدي إلي ضياع الحقائق أو طمسها أو إخفائها.

وأمام تلك المحاذير، وضع المؤرخون المسلمون الأساليب والمناهج والأسس

التي يجب أن يكتب التاريخ وفقها، وأن تعالج من خلالها القضايا الجدلية والخلافيه الكثيرة التي شهدها تاريخ البشرية بصفة عامة، وتاريخ المسلمين بوجه خاص.

من المسلم به أن كتابة التاريخ الاسلامي قد عانت كثيرا من التشويه والمغالطات، وخطأ التفسير بقصد أو بجهل بالأصول والمصادر.

ومن هنا كانت مهمة المؤرخ المسلم أن يجلي الحقائق، وأن يصحح الأخطاء وأن يطبق الأسس الصحيحة في كتابة التاريخ الاسلامي، وأن يتصدي بموضوعية ومنهجية لمحاولات التشويه، وأن يدعم ما يدون بالأدلة والحقائق. إن هدف هذه الدراسة: علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، أن يؤصل علم التاريخ، وأن يوضح جهود الانسان في تدوينه مع التركيز علي دور العلماء المسلمين في وضع منهجية علمية لكتابة التاريخ.

وإذا كان المستشرقون قد قاموا بدور ملموس منذ مطلع العصور الحديثه في دراسة التاريخ الاسلامي، والاهتمام بمصادر المخطوطة وتحقيق الكثير منها، فقد بات محتما علي المؤرخين المسلمين أن يقوموا بمسئولياتهم كاملة خاصة وقد أدي الرعيل الأول من مؤخي الاسلام المحدثين واجبهم كاملا مما تحفل به مكتبات العالم.

إن علي مؤرخي هذا الجيل مسئوليات متنوعة، فعليه أولا إعداد جيل جديد من المؤرخين، مسلحا بالوسائل العلمية التي أتيحت له ولم تكن متاحة لهم، جيل يؤهل لمواجه تحديات القرن القادم في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات.

وبعد فهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب، أهديها للباحثين والدارسين والمهتمين بالدواسات التاريخية، وقد رأيت أن أضيف إليها ما وجدتة مفيدا، بالاضافة الي بعض التصويبات اللازمة.

وأدعوا الله ان يهدينا سواء السبيل، وأن يسدد علي طريق الرشاد والتوفيق كل جهد مخلص يهدف الي البحث عن الحقيقة.

وسوف يلمس القارئ تعديلا في بعض فصول الكتاب، وإضافات كان لابد منها في بعض الفصول الاخري.

أسأل الله العلي القدير ان يجعل عملنا دائما خالصا لوجهه وأن يجنبنا الزلل ويهدينا سواء السبيل انه نعم المولي ونعم النصير.

تحية النبراوي

مدينة نصر

١٩٩٥/١١/١

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله النبي الامي وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد

التاريخ من العلوم الهامة لحياة الإنسان والمجتمع والدولة جميعاً، ومناهج البحث من الموضوعات الحية المتجددة التي تتسع دوما للمزيد من الدراسة والمعالجة وإعادة النظر مما يتيح فهماً أعمق وتحليلاً أشمل ورؤية جديدة للعلماء كل في مجال مخصصة وميدان بحثه.

ولما كان التاريخ أبا لكل العلوم والمعارف الإنسانية، أو لعلنا نقول مفتاحاً للمعرفة البشرية كان منطقياً أن يتزايد الإهتمام به وبمناهج الدراسة والبحث فيه، ومن ثم تعددت وتنوعت الدراسات المنهجيةحول كيفية معالجته ودراسته.

ولقد أسهم كثير من المؤرخين القدامي والمحدثين في موضوع مناهج البحث التاريخي، وظهرت دراسات قيمة عن طرق البحث ومنهجيته، عمل أصحابها علي توضيح معالم الطريق التي يجب أن يسلكها المؤرخ في رحلته مع الأحداث وتعامله مع الحقائق التي تضمها الوثائق والمخطوطات أو تلك الي يحتويها باطن الأرض من آثار مختلفة أو ما يظهر من نقوش وكتابات على الآثار المرئية بالإضافة إلي الآراء والإتجاهات والأفكار والنظريات المطروحة أو التي تطرح في هذا المجال.

وفي رأيي أن التاريخ يمثل النبض الحي لحياة الإنسان علي الأرض منذ أن بدأت الحياة المستقرة ومعها بدأ النظام السياسي والتدوين والتسجيل ليقوم الإنسان الأول بدور المؤرخ المسجل لأحداث حياته وحركة مجتمعه.

وكما أسهم القدماء في الشرق في تسجيل تاريخهم في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فقد قدم الكتاب اليونان والرومان مادة تاريخية رائعة تعين الباحثين والمؤرخين علي التوصل إلي بغيتهم في سبيل الوصول إلي الحقيقة.

كذلك فإن الدور الذى قام به المؤرخون المسلمون في تدوين أحداث التاريخ الإسلامي ووضع الأسس المنهجية في دراسته لمما يسجل لهم اعترافاً بفضلهم في تأصيل أسس هذا العلم الجليل وتوضيح مفهومه وموضوعه ومجاله في ثروة علمية وفكرية ضخمة تجعل العبء علي كاهل المؤرخين المسلمين المحدثين عظيماً لتجلية الكثير من الحقائق التي يحتويها هذا التراث وإحيائه وتفسيره وتحليله للإفادة منه. والبحث عن الحقيقة قديم، ارتبط بشغف الإنسان في التوصل إليها، وقد استطاع المؤرخ الفيلسوف اليوناني هيرودوت فى كتابه The Histories الذي يعد قطعة أدبية تاريخية فريدة في طابعها أن يوضح لنا هذه الحقيقة ذلك أنه استطاع خلال تجواله وتطوافه في البلدان أن يسجل أحداثاً ووقائع وغرائب تؤكد مدى تصارع الخير الشر متمثلا فى الحروب التي قامت بين الشرق والغرب وبين الإنسان وأخيه الإنسان فى كل زمان ومكان.

ويري المؤرخ الانجليزي أرنولد توينبى أن الفكر التايخي أو التفكر التاريخي تفكير نسبي Relative ذلك أن دراسة التاريخ يحكمها عاملان أساسيان ألا وهما: عامل الزمان، وعامل المكان وليس قي الامكان القول أن التاريخ يصنع في معامل الأبحاث إلا أنه يمكننا أن نضيف أن التجارب العلمية تمكننا من الحصول علي نتائج محددة واضحة، وليس الحال كذلك بالنسبة للتاريخ إذ أن رحلة المؤرخ الطويلة مع الزمان والمكان والإنسان تأتي بافتراضات وتحليلات ومناقشات وتفسيرات تنتهي علي أحسن الفروض باستنتاجات منطقية تعبر عن أقرب شئ للحقيقة، ذلك أن الحقيقة المجردة لا يمكن الوصول إليها بأي حال من الأحوال وبصفة خاصة عن عصور وأزمنة وأماكن وشعوب بفصل بينهما وبين المؤرخ آلاف السنين.

ومع ذلك فلا يزال مجال البحث التاريخي وأهدافه هي البحث الدائم الدءوب عن الحقيقة، ويحتمل المؤرخ في سبيل ذلك كثيرا من المشاق والمعاناة حتى يصل إلي فهم مقنع للأحداث ليرسم صورة قريبة من الواقع يؤيده في ذلك ما تحت يدية من مادة تاريخية أو أدلة مادية أو استنتاجات منطقية محايدة.

بدية من مادة تاريخية أو أدلة مادية أو استنتاجات منطقية محايدة.

ومع تقدم الفكر الإنساني، وإضافة إلي كثرة الأدلة وتعدد الدراسات الأمينة الجادة وتنوعها فقد تيسرت إلي حد ما مهمة الباحثين في مجال التاريخ، مما يسهم بشكل ملحوظ في تذليل الصعوبات أمام العلماء والمهتمين بقضايا التاريخ.

ومن المهم الإشارة إلي أن علماء التاريخ قد بذلوا علي مدى القرون الماضية جهوداً طيبة في تعريف التاريخ وتحديد مصادره وهذا ينطبق على التاريخ القديم والتاريخ الإسلامي وتاريخ العصور الوسطي والتاريخ الحديث، وكان للمستشرقين دور هام في هذا المجال خاصة وأنهم سبقوا المؤرخين المسلمين المحدثين في وضع الأسس المنهجية والأساليب المختلفة لدراسة التاريخ ذلك أن ظروف العالم الإسلامي خاصة خلال تسلط القوي العظمي الاستعمارية علي مقدارته قد أتاح لعلماء الغرب التصرف بشكل كبير في كثير من الكنوز الفكرية للمسلمين التي كانت سبباً مباشراً في ذلك، ومن هنا كان واجب المؤرخ المسلم كبيرا في إعادة النظر في كثير مما كتب عن تاريخنا وعن مناهج البحث فيه وأن يتلمس الأسس والأصول التى وضعها المؤرخون المسلمون القدامى لدراسة التاريخ حرصاً علي تأكيد الأسس ولتصحيح ما يكون قد وقع المستشرقون من أخطاء.

ومن حسن الحظ أن كثيراً من الدراسات القيمة في منهجية علم التاريخ قد اضطلع بها عدد من المؤرخين المسلمين المحدثين مما ضيق الهوة الناتجة عن اهتمام المستشرقين بموضوع مناهج البحث الذى بدأ بشكل جاد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

وعلي أية حال، فقد اختلفت الآراء حول تقسيم الأزمنة التاريخية، كما اختلفت الآراء حول التاريخ ذاته، وهل يمكن فصل التاريخ عن الحضارة، وهل يمكن أن يدرس التاريخ بتقسيمات جديدة أم يجب أن تظل التقسيمات القديمة التقليدية: التاريخ السياسى والاقتصادي والاجتماعي أو أن ذلك يجعل الصورة التى تشكلها يد المؤرخ أقل وضوحاً أو تجعل من بعض ألوانها ألوانا باهتةشاحبة

لإغفال المؤرخ لها أو لعدم اهتمامه بها أو لعدم قناعته بأنها تدخل في دائرة اهتمامه أو ربما لأنه وتحت ظروف معينة رأي أن يصمت عنها، والرأي عندي أننا في حاجة إلي إعادة نظر في الموضوع بأكملة.

أما أساليب البحث في التاريخ فهي متعددة تختلف باختلاف المدارس التاريخية، لكن الهدف الأساسي والغاية النهائية واحدة، ومع التسليم بذلك فقد ظهر من المدارس الجديدة من ينادي بتطوير مناهج البحث التاريخي وتوسيع دائرة اهتمام العاملين فيه فالمدرسة النقدية والمدرسة الفلسفية قد وضعت من النظريات ما جعل مجال البحث التاريخي أرحب وجعل آفاقه أوسع فظهر الرأي القائل بفلسفة التاريخ Philosophy of History، والدراسة النقدية للتاريخ Critical study of History وهذا يضيف أبعاداً جديدة لأساليب البحث في التاريخ مما يساعد علي مواكبة هذا العلم لتطور المجتمعات الإنسانية وما يطرأ عليها من تغيرات سريعة متلاحقة.

والكتاب الذي بين أيدينا يقدم دراسة لمناهج البحث في التاريخ ودور المدارس التاريخية الإسلامية بشكل خاص في هذا المجال، ولست أزعم بحال من الأحوال أن الكتاب يقتحم ميداناً جديداً فقد سبقنا إلي هذا المجال كثير من المؤرخين والباحثين كل تناول الموضوع من وجهة نظر حتمها عليه تخصصه الدقيق، ولكننا في هذا الكتاب نقدم خلاصة تجربة عملية يكتسبها المؤرخ خلال عمله في الجامعات في مصر والخارج ومع معايشة لطلبة الدراسات العليا، ومن خلال البحث المتواصل الذي يصقل التجربة ويعمق الرؤية ويؤصل الرأي مما يسهم في إثراء المعرفة التاريخية ويقوي الحجة القائمة علي الدليل والمدعمة بالبرهان.

ويجدر بالمؤرخ أن يضع هذه التجربة أمام الباحثين وطلاب العلم إثراء للموضوع ومنهجية البحث فيه باعتباره موضوعاً حياً يرتبط بنبض الشعوب وتطور المجتمعات وحركة الفكر وتقدم وسائل البحث وارتباطها بثورة المعلومات والانقلاب الضخم في وسائل الاتصال وسرعة الحصول علي أدق التفصيلات للأحداث الجارية وظهور تخصصات جديدة تخدم علم التاريخ وتخدم المؤرخ على

حد سواء.

والكتاب الذي بين أيدينا يقع في سبعة فصول مع مقدمة وخاتمة يناقش الفصل الأول التاريخ من حيث كونه مفهوماً يدور في محتوي وباعتباره سجلاً لتجارب الأمم وعبقرية العقل البشري الذي استطاع التوصل إلي انجازات غيرت مجري الحياة الإنسانية علي هذه الأرض.

ويتناول الفصل الثاني نشأة وتطور علم التاريخ ومكانة هذا العلم بين العلوم الأخري. بينما خصص الفصل الثالث لدراسة الرؤية الإسلامية للتاريخ وتحليل أراء المؤرخين المسلمين في تفسيرهم للتاريخ، بينما جاء الفصل الرابع ليرصد نشأة المدارس التاريخية الإسلامية وجهود المؤرخين المسلمين الأوائل في وضع أسس علم التاريخ الإسلامي، ودورهم الرائد في ابتكار تخصصات مختلفة لهذا العلم فكتبوا في خلق العالم والكون والسيرة والتراجم والنظم، وقدموا نماذج وأنماط في التأليف التاريخي وذلك في الحجاز والشام والعراق. أما الفصل الخامس فقد خصص للحديث عن المدرسة التاريخية المصرية لما لها من اسهامات عظيمة في تأصيل منهجية البحث التاريخي ولدور رجالها في التأليف المتميز وخاصة في مرحلة تألق هذه المدرسة في القرن التاسع الهجري.

أما الفصل السادس فيتحدث عن العلوم المساعدة لدراسة التاريخ باعتبارها روافد خصبة تسهم في فهم أفضل ورؤية أوضح تساعد المؤرخ علي صياغة أفضل لعلم التاريخ.

ويأتي الفصل السابع والأخير ليقدم الخطوات التي يتبعها المؤرخ لإخراج ثمرة جهوده لتري النور، ويتتبع هذا الفصل المراحل التي يمر بها البحث حتي يصل إلي أيدي القارئ بحثاً أو رسالة علمية أو كتاباً متخصصاً وهي بطبيعة الحال المرحلة المهمة لرحلة الباحث مع مادته العلمية المتنوعة، أو بعبارة أخري كيف نكتب التاريخ وكيف تكون صياغته وهي مرحلة ولا شك من أهم مراحل البحث.

وبعد فإن هذا الكتاب يقدم تصوراً للمنهجية التاريخية اعتماداً على فهم

الظاهرة التاريخية وتحليلها وما قدمه المؤرخون المسلمون علي مدي العصور الإسلامية من مناهج ووضعوا من أسس وأصول لدراسة علم التاريخ حتي نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.

والكتاب علي كل حال يقدم إسهاماً يضاف إلي جهود اساتذتنا الأجلاء وزملائنا الأفاضل الذين سبقونا في هذا المجال، نرجو أن تحصل به الفائدة ويعم به النفع إن شاء الله.

والله نسأل التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير

فتحية النبراوي

مدينة نصر القاهرة

١٩٩٢/٥/٢٥